هذه صفحات من هذا الكتاب المبتكر

مواعظ

للإمام أبي سليمان الداراني

وقد استئذناه - حفظه الله - في

تصوير "بعض" صفحات كتبه فأذن جزاه الله خيراً

تصوير

marthad.wordpress.com

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

نشر على موقع الألوكة

معالم في التربية والدعوة

مواعظ

للإمام أبي سليمان الداراني

(ت ٢٠٥ هـ)

قام بجمعها

صالح أحمد الشامي

المكتب الإسلامي

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

المكتب الإسلامي
بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ ـ هاتف ، ٤٥٦٢٨٠ (٠٥)
دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ ـ هاتف : ١١١٦٣٧
عمّان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ ـ هاتف : ٤٦٥٦٦٠٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمداً طيباً مباركاً فيه، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد النبي الأمي، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

الدعاة إلى الله والمربون، هم قادة الأمة حقيقة، والآخذون بيدها إلى الخير، وهم المراقبون استقامتها على الطريق. والمصححون للمسار عندما يشتد الظلام، وهم الأطباء عندما تفشو الأمراض..

وقد أتيح لسلسلة «معالم في التربية والدعوة» أن تقدم للقارئ الكريم طائفة من أعلام هذه الأمة، ممن عاش في القرن الثاني الهجري، وقد تفيأنا ظلال مواعظهم، وانتفعنا بحِكَمِهم، ومن خلال ذلك بدت لنا الخطوط العريضة التي كانت تنتظم حياتهم، فكانت أنموذجاً لسيرة السلف الصالح.

والأمة على خير ما دامت على الطريق متبعة آثار السلف.

وأبو سليمان الداراني علم من أعلام السلف في هذا القرن، فقد عاش في النصف الثاني منه، بل وأشرف على مطلع القرن الثالث.

ولذا كان اختياره ليكون المتحدَّث عنه في هذا الكتاب، وبه يكمل العِقْدُ الأول من هذه السلسلة، والذي ننهي به الحديث عن القرن الثاني. سائلاً الله تعالى أن ينفعنا بما نقرأ، وأن يلهمنا رشدنا، ويهدينا سواء السبيل.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

غرة ذي الحجة سنة ١٤١٨

كتبه

صالح أحمد الشامي

أبو سليمان الدّاراني

اسمه عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي. من صليبة العرب.

ولد في حدود الأربعين ومائة.

أصله من واسط.

سكن قرية غربي دمشق يقال لها: داريا.

وقد سمع الحديث من سفيان الثوري، وأبي الأشهب العطاردي، وعلقمة بن سويد، وغيرهم.

وروى عنه تلميذه أحمد بن أبي الحواري، وجماعة..

قال ابن الجوزي: سمع أبو سليمان الداراني الحديث الكثير، ولقي سفيان الثوري وغيره، ولكنه اشتغل بالتعبد عن الرواية.

توفي في قرية داريا، ودفن فيها، وقبره مشهور هناك.

وقد اختلف في تاريخ وفاته، فقيل سنة خمس ومائتين، وقيل سنة خمس عشرة ومائتين وقيل غير ذلك.

ورجح ابن الجوزي القول الأول.

وكذلك ابن كثير حين وضع ترجمته ووفاته في حوادث سنة خمس ومائتين.

وصفه ابن كثير فقال: أحد أئمة العلماء العاملين[1].

وقال الذهبي: الإمام الكبير، زاهد العصر، أبو سليمان[2].

(١) البداية والنهاية ١٠/ ٢٨٨.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٠/ ١٨٢.

ضوابط الزهد عند أبي سليمان

كان أبو سليمان ـ رحمه الله ـ زاهد عصره، كما وصفه الذهبي، ولكن زهده لم يكن نسكاً أعجمياً، بل كان زهداً وفق الشريعة المطهرة، منضبطاً بقواعد الإسلام العامة.

ويحسن بنا أن نقف على بعض هذه المحاور التي ضبطت هذا الزهد في إطار الإسلام.

١ ـ التزام بالكتاب والسنة:

لم يكتف الداراني أن يكون ظاهره ملتزماً بالشريعة، بل إنه جعلها الحَكَمَ على خواطر فكره، فكل خاطر لا يوافق الكتاب والسنة فهو خاطر متروك.

ولقد كانت النصوص المأثورة عنه في هذا الصدد واضحة كل الوضوح، لا تحتمل التفسير أو التأويل، ومن ذلك:

«ربما يقع في قلبي النكتة من نكت القوم **أياماً**، فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين: الكتاب **والسنة**».

وقال:

«ليس ينبغي لمن ألهم شيئاً من الخير، أن يعمل به حتى يسمعه في الأثر، فإذا سمعه في الأثر عمل به، وحمد الله عز وجل على ما وفق من قلبه».

وينتج عن هذا المحور الأساس، أن يسبقه علم بالكتاب والسنة، فالجاهل ليس أهلاً لهذا الميدان.

٢ ـ الحاجات الضرورية:

ليس معنى الزهد والانقطاع إلى العبادة، أن يقصر المرء في أداء واجباته من تحصيل رزقه ورزق عياله، بل أن يسعى في الاستغناء عن حاجة الناس، ويحافظ على عزة نفسه وأن لا يذلها في هذا الميدان. ولذا فهو يقول:

«ليس العبادة عندنا أن تصف قدميك، وغيرك يفتُّ لك، ولكن ابدأ برغيفيك فأحرزهما، ثم تعبد».

ويقول: «لا خير في قلب يتوقع قرع الباب، يتوقع إنساناً يجيء يعطيه شيئاً».

وصاحب العيال أعظم أجراً من العزب، لأن ركعتين منه تعدل سبعين من العزب.

بل إنه يطالب الزاهد صاحب العيال، أن لا يقصر في حق أهله، ولا يجبرهم على طريقته، بل يسعى لهم فيما يصلحهم، فيقول:

«ليس للرجل أن يحمل أهله وعياله على الزهد في الدنيا، إنما عليه أن يدعوهم إليه، فإن أجابوه، وإلا زهد في نفسه، وأتاهم بما يصلحهم».

ولا تعارض بين طلب الدنيا والزهد. وهذا واضح في قوله:

«من طلب الدنيا حلالاً، واستغناء عن المسألة، واستغناء عن الناس، لقي الله يوم يلقاه، ووجهه كالقمر ليلة البدر».

٣ ـ الجوع والشهوات:

كثرت الكلمات التي دعا فيها أبو سليمان إلى الجوع، وينبغي أن لا نفهم هذه الكلمات على إطلاقها، بل علينا أن نفهمها في ضوء التزامه بالكتاب والسنة.

فالمقصود أن لا يصل الإنسان في أكله إلى حد الشبع، فالشبع ضرره كبير، حيث يثقل الإنسان عند الشبع عن العبادة، ويتعذر عليه حفظ الحكمة، **وتزداد**

عنده الشهوات، **ويفقد الشعور بالجائعين..**

يؤكد هذا الفهم ـ لمعنى الشبع ـ ما ذكرته في الفقرة السابقة من مطالبته الإنسان بتحصيل رغيفيه قبل أن يصف قدميه.

بل إنه لا يريد حرمان النفس من شهواتها كلها، بل ينبغي أن يكون الإنسان متوسطاً في الأمور في التعامل مع هذا الجانب. وفي هذا يقول:

«إذا قدمت إليك شهوة، وقد كنت تاركاً لها، فأصب منها شيئاً يسيراً، ولا تعط نفسك مناها، فتكون قد أسقطت عن نفسك الشهوة، وتكون قد نغصت عليها إذ لم تعطها شهوتها».

وهذا المسلك يلتقي مع سنة الإسلام في عدم الشبع. وقد ورد الحديث الشريف يحدد هذا الموضوع فقال ﷺ:

(ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه)[1].

(١) أخرجه الترمذي برقم ٢٣٨٠.

وقالت عائشة رضي الله عنها: أول بدعة حدثت بعد رسول الله ﷺ: الشبع[1].

وفي ظل هذا المعنى يمكن أن نفهم قول أبي سليمان: لأن أترك لقمة من عشائي أحب إليّ من قيام ليلة إلى الصبح[2].

ونفهم قوله أيضاً: ترك شهوة من الشهوات أنفع للقلب من صيام سنة[3].

٤ ـ التصوف:

والحديث عن الشبع والجوع والشهوات، يجرنا إلى الحديث عن التصوف. الذي بدأ يومئذ يستفحل أمره، ويصبح مذهباً اجتماعياً.

وأبو سليمان سيئ الظن بالتصوف، فهو يقول:

«ما رأيت صوفياً فيه خير، إلا واحداً: عبد الله بن مرزوق. قال: وأنا أرق لهم».

وهذه النظرة المتشائمة نشأت عن سبر للواقع،

(١) إحياء علوم الدين ٣/ ٨٦.
(٢) إحياء علوم الدين ٣/ ٨٣.
(٣) إحياء علوم الدين ٣/ ٩٥.

فالمتصوفة كثيرون، ولكنه لم يجد فيهم خيراً إلا واحداً، والواحد بالنسبة للكثرة لا يشكل نسبة.

ولعل هذا الواقع لدى الصوفية كان نتيجة لسلوكهم طريق الزهد على جهل، ولذا شغلتهم ظواهر الطريق عن الأخلاق التي ينبغي تمثلها والتخلق بها.

والدليل على ذلك موقفهم من أمر الطعام، فهم يأكلون حتى الشبع، ولا يتورعون عن أكل الشبهات.

وهذا ما أوضحه أبو سليمان لتلميذه أحمد بن أبي الحواري عندما قال له:

«يا أحمد، عهدت ناساً يعدون الجوع فيهم غنيمة، كما تعدُّ أنت وأصحابك الصوفية الشبع غنيمة.

يا أحمد، كيف تنير قلوبهم، وكل شيء يجدونه من الشبهات يأكلونه».

وأمرهم في اللباس كشأنهم في الطعام؛ تحول إلى مجرد شعار. ويوضح لنا أبو سليمان ذلك فيقول:

«يلبس أحدهم عباءة قيمتها ثلاثة دراهم، وشهوته في قلبه خمسة دراهم..»

وقال:

«إذا لم يبق في قلبه شيء من الشهوات، جاز له أن يتدرع عباءة، لأن العباءة علم على الزهد، ولو أنه ستر زهده بثوبين أبيضين بخلطة الناس كان أسلم له».

ومع هذا فخيار هذه الأمة لم يفعلوا ذلك. قال:

«وخيار هذه الأمة أصحاب القطن أبو بكر الصديق وأصحابه».

وحتى لباس الصوف الذي هو عَلَمٌ على الزهد، لم يعد كذلك، ذلك أنه أعدت أنواع من الصوف على مستوى عال وأصبح الصوفية يتنافسون فيها. وهو ما بينه أبو سليمان بقوله:

«إذا رأيت الصوفي يتنوق[١] في لبس الصوف فليس بصوفي».

هذه القضايا وغيرها جعلت أبا سليمان لا يرى في الصوفية خيراً.

---

(١) التنوق في المطعم والملبس: المبالغة فيهما.

٥ ـ التواضع:

والتواضع أمر ملازم للزهد، بل هو بعض تطبيقات الزهد، وهو أن يزهد الإنسان بنفسه.

قال أبو سليمان: ما رضيت عن نفسي طرفة عين، ولو اجتمع الخلق جميعاً على أن يضعوني، كاتضاعي عند نفسي ما قدروا على ذلك.

وعدم التواضع له نتائج سلبية يحس المسلم آثارها من نفسه، ويوضح لنا أبو سليمان ذلك فيقول:

من رأى لنفسه قيمة، لم يذق حلاوة الخدمة.

وهو يعجب من الذين يسعون إلى الشهرة.. ويبين خفايا هذا الأمر عندما ينصح بالاكتفاء بالقليل ومن ذلك «ما دنؤ من اللباس ما لم يكن مشهوراً» فهو يشير بهذا إلى أن دنيء اللباس قد يكون علامة تجعل الإنسان يشار إليه بالأصابع. وهنا يصبح ما كان علامة على الزهد والتواضع علامة للإعجاب بالنفس والتكبر.

إن التواضع صفة وخلق يفيض به القلب، فيصبغ سلوك الإنسان بالمعاني المنبثقة عنه، وعندها يكون الإنسان متواضعاً.

٦ ـ أمر المجتمع:

لا يطرح أبو سليمان أمر المجتمع من حسابه، فهو وإن كان في بعض أقواله يميل إلى العزلة، ولكنه يهتم لأمر الناس من حوله.

فهو يحث على الإحسان للناس والرحمة بهم، بل إنه يعد الرحمة للخلق أحد ركنين في درجة المرسلين فيقول:

الرضى عن الله، والرحمة للخلق، درجة المرسلين.

ويتحدث كيف ينبغي أن يكون ارتباط المسلم بمجتمعه، فيضرب مثالاً على ذلك:

فإذا أردت أن تشتري ثوباً بثلاثين، فيحسن أن تشتريه بعشرين، وتقدم العشرة.

وتقديم العشرة هنا أن تعطي للمحتاجين.

ولا يرغب بالحج نفلاً، ويقول: إنه ليس بضاعة أهل الورع.

وذلك لأنه عبادة قاصرة على النفس وهو يرغب

بعبادة متعدٍ نفعها للآخرين والحج ليس كذلك، وانظر إلى عبارته في ذلك:

«ليس اتخاذ الحج من بضاعة أهل الورع، لا يقضى منه دين، ولا يشترى منه مصحف».

ومعنى لا يقضى منه دين: أن الحاج لو ساهم بوفاء ديون الغارمين لكان خيراً لأن نفع عمله متعد إلى الآخرين.

٧ ـ عقبات:

ويعترف أبو سليمان أن الوصول إلى مقام الزهد ليس أمر سهلاً فهناك عقبات يصعب التغلب عليها نذكر منها:

١ ـ الذهب والفضة:

فالذهب والفضة، هما الرمز الذي يعبر عن متع الدنيا وشهواتها. وقد تمكن حبهما من القلوب، بحيث يصعب إخراجه.

ويلخص لنا أبو سليمان تجربته في هذا الميدان فيقول:

«قد وجدت لكل شيء حيلة، إلا هذا الذهب والفضة، فإني لم أجد لإخراجهما من القلب حيلة».

٢ ـ التوكل:

ويرى أبو سليمان أن الثبات في مقام التوكل على الله أمر صعب، ويتحدث عن تجربته في ذلك، فيخاطب تلميذه أحمد بن أبي الحواري قائلاً:

«يا أحمد، إن طرق الآخرة كثيرة وإن شيخك عارف بكثير منها، إلا هذا التوكل المبارك، فإني ما شممت منه رائحة».

وقال مرة: «إلا هذا التوكل المبارك فإني لا أعرفه إلا كسام الريح ليس يثبت».

والتوكل الذي يريده ليس مجرد قول، وإنما اعتقاد يستقر في القلب، فتأتي الأعمال والسلوك مطابقة له.

وكمثال على ذلك نسوق الخبر التالي:

رأى أبو سليمان رجلاً بمكة لا يتناول شيئاً إلا شربة من ماء زمزم، فمضت عليه أيام، فقال له أبو سليمان يوماً: أرأيت لو غارت زمزم، ماذا كنت

تشرب؟ فقام الرجل وقبل رأسه وقال: جزاك الله خيراً حيث أرشدتني.

فقد كان هذا الرجل متوكلاً على زمزم ـ بحسب رأي أبي سليمان ـ فأحب أن يلفت نظره إلى التوكل الصحيح، الذي لا يكون على شيء غير الله تعالى.

وإذن فهناك عقبات يعترف أبو سليمان بوجودها، ولا يرى في الاعتراف بها ما يخدش سلوكه وزهده.

وهذا ما أوصله إلى القول: بأن آخر أقدام الزاهدين، أول أقدام المتوكلين. والمعنى أن التوكل يبدأ بعد التحقق بالزهد.

٨ ـ الخوف وحسن الظن:

يؤكد أبو سليمان على استشعار الخوف من الله تعالى دائماً، لأنه أصل كل خير في الدنيا والآخرة.

وما فارق الخوف قلباً إلا خرب.

وإذا غلب الرجاء على القلب فسد.

وبهذه العبارات تظهر مكانة الخوف، وأنه ينبغي أن يكون ملازماً للإنسان طول حياته.

ولا تعارض بين الخوف وبين حسن الظن، وفي هذا يقول:

«من حَسُنَ ظنه بالله عز وجل، ثم لا يخاف الله فهو مخدوع».

فحسن الظن رافد من روافد الخوف.

ومشاهد يوم القيامة رافد آخر، ولذا فهو يرشد الناس إلى هذا الأمر فيقول:

«من سره أن يشهد يوم القيامة، فليقرأ آخر الزمر».

٩ ـ طريق الزهد:

سالك طريق الزهد أحد رجلين.

رجل عرف نعيم الدنيا وعاش فيه ردحاً من الزمن، ثم آثر ترك هذا النعيم، وسلك طريق الزهد.

ورجل نشأ في ضيق من العيش، ثم استمر على ذلك مؤثراً طريق الزهد، ولم تتح له فرصة رغد العيش.

ويرى أبو سليمان أن الأول، أكثر ثباتاً وأكثر

قدرة على المتابعة، وأن الثاني عرضة للانتكاس والعودة إلى الانغماس في الدنيا.

نفهم رأيه هذا من القصة التالية:

ذكر لأبي سليمان رجل ممن سلك طريق الزهد، فقال للمتكلم: صف لي حاله، فقال: إنه نشأ في الصوف، والقرآن وأكل الملة[1].

فقال أبو سليمان: قد كنت أحب أن يكون ممن وجد طعم الدنيا، ثم تركها، لأنه إذا وجد طعمها ثم تركها لم يغتر بها، وإذا كان ممن لم يجد طعمها لم آمن عليه إذا وجد طعمها أن يرجع إليها.

وهي نظرة دقيقة فاحصة، تدل على خبرة أبي سليمان الكبيرة، في ميدان النفس الإنسانية، ومعرفته بأحوالها ونزعاتها.

١٠ ـ الصحة النفسية:

ولقد حرص أبو سليمان وغيره من المربين على استقرار الإنسان، والحفاظ على صحة الباطن، التي تقابل صحة الظاهر وهو الجسم.

---

(١) الملة: الرماد الحار والجمر، والمراد بالملة: ما خبز على الرماد.

فكانت وصفاتهم في هذا الميدان كثيرة.

فمن ذلك:

«اجعل ما طلبت من الدنيا فلم تظفر به، بمنزلة ما لم يخطر ببالك، ولم تطلبه».

ولا شك بأن تطبيق هذه الوصفة يعني إسدال الستار على الفشل، ومتابعة الطريق.

وهو ما يفهم من الحديث الشريف في قوله ﷺ: (احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، ولا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا، ولكن قل قدَّر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان).

وهذا يجرنا إلى ضرورة تعلم الرضى بالقدر، الذي هو أحد أركان الإيمان. فالإيمان بالقدر خيره وشره من الله تعالى سادس أركان الإيمان، وتفاعل هذا التصديق الذي استقر في القلب مع الواقع وفي ساحة التطبيق العملي يحتاج إلى دربة وتمرين وتعلم. وهذا ما نصح به أبو سليمان عندما قال:

«علموا النفوس الرضى بمجاري المقدور، فنعم الوسيلة إلى درجات المعرفة».

وهكذا تتوجه هذه المواعظ لتساعد **على**

الاستقرار النفسي، أو ما يسمى بالصحة النفسية، وهو جانب مهم في بناء الذات الإنسانية، والعناية به مقدمة على العناية بصحة الجسم.

أكتفي بذكر هذه المحاور كنموذج على طريقة أبي سليمان في ميدان التربية، وهناك محاور أخرى لا تخفى على القارئ الكريم تبدو له من خلال ما يأتي من المواعظ.

وإليك بعض المواعظ مما أمكن جمعه.

مَوَاعِظُ

الإمام أبي سليمان الدّاراني

التزام بالكتاب والسنة

قال الجنيد: قال أبو سليمان الداراني:

ربما يقع في قلبي النكتة من نكت القوم أياماً، فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين: الكتاب والسنة[1].

موافقة الأثر

قال أبو سليمان:

ليس ينبغي لمن ألهم شيئاً من الخير أن يعمل به حتى يسمعه في الأثر، فإذا سمعه في الأثر عمل به، وحمد الله عز وجل على ما وفق من قلبه[2][3].

---

(١) صفة الصفوة ٤/ ١٩٤.

(٢) حلية الأولياء ٩/ ٢٦٩ وسير أعلام النبلاء ١٠/ ١٨٣.

(٣) ضبط أبو سليمان بهذين القولين مذهب الزهد الإسلامي، وبين التزامه بالقرآن والسنة واتباع الأثر.

ولا شك بأن من سبقه قال مثل هذا القول، ولكن الذي جعل لقوله هذا شأناً كبيراً هو انتشار مذهب التصوف وظهور=

منزلة الحمد ومنزلة الصبر

قال أحمد بن أبي الحواري:

ناظرت أبا سليمان في الحديث الذي جاء: أول زمرة تحشر إلى الجنة، الحمادون لله على كل حال.

فقال: ويحك، ليس هو أن تحمده على المصيبة وقلبك معتصر عليها، فإذا كنت كذلك، فأرجو أن تكون من الصابرين.

= الانحراف فيه، الأمر الذي جعل من هذه الضوابط أمراً مهماً.
وقد تتابع الزهاد من بعده في تأكيد هذا الأمر:
فجاء تلميذه أحمد بن أبي الحواري ليقول: من عمل بلا اتباع سنة فباطل عمله.
وجاء بعد أحمد، أبو حفص النيسابوري ليقول: من لم يزن أفعاله وأقواله كل وقت بالكتاب والسنة، ولم يتهم خواطره، فلا تعده في ديوان الرجال.
وجاء بعده الجنيد، لينقل أقوال أبي سليمان، ويؤكدها بأقواله المتعددة ومن ذلك قوله: الطرق كلها مسدودة على الخلق، إلا من اقتفى أثر الرسول ﷺ.
وقوله: من لم يحفظ القرآن، ويكتب الحديث، لا يقتدى به في هذا الأمر، لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة. [انظر هذه الأقوال في الاستقامة لابن تيمية ١/ ٩٥ ـ ٩٧].
وهكذا كان لأبي سليمان دوره الكبير في تحديد معالم الطريق، وضبطها بمنهج السلف رحمهم الله جميعاً.

ولكن أن تحمده وقلبك مسَّلم راضٍ[١].

ما تشغلهم الجنان

قال أبو سليمان:

إن من خلق الله لخلقاً ما يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه، فكيف يشتغلون عنه بالدنيا[٢].

علو منزلة التوكل

قال أحمد بن أبي الحواري: قال لي أبو سليمان:

يا أحمد، إن طرق الآخرة كثيرة، وإن شيخك عارف بكثير منها، إلا هذا التوكل المبارك، فإني ما شممت منه رائحة[٣].

وقال: ما من شيء من درج العابدين إلا ثبت[٤] إلا هذا التوكل المبارك فإني لا أعرفه إلا كسام

---

(١) حلية الأولياء ١٠/١٠.
(٢) حلية الأولياء ١٠/١٨.
(٣) الرسالة القشيرية ص١٦٩.
(٤) أي ثبت في نفس الشيخ أبي سليمان وعرفه.

الريح[1] ليس يثبت[2]

الوثوق برزق الله

قال أبو سليمان:

من وثق بالله في رزقه، زاد في حسن خلقه، وأعقبه الحلم، وسخت نفسه في نفقته، وقلَّتْ وساوسه في صلاته[3].

حسن الظن والخوف

قال أبو سليمان:

من حَسُنَ ظنه بالله عز وجل ثم لا يخاف الله فهو مخدوع[4].

حلاوة العبادة

قال أبو سليمان:

(١) سام الريح: أي مروره، والمعني أنه لا يستقر بل يكون أمراً عارضاً.
(٢) حلية الأولياء ٩/ ٢٥٦.
(٣) حلية الأولياء ٩/ ٢٥٧.
(٤) صفة الصفوة ٤/ ٦٩١.

من رأى لنفسه قيمة، لم يذق حلاوة الخدمة[1].

نصيبك من الدنيا

قال أبو سليمان:

قال لقمان لابنه: يا بني لا تدخل في الدنيا دخولاً يضر بآخرتك، ولا تتركها تركاً تكون كلًّا على الناس[2].

أحرز رغيفك

قال أبو سليمان:

ليس العبادة عندنا أن تصف قدميك، وغيرك يفتُّ لك[3]، ولكن ابدأ برغيفيك فأحرزهما، ثم تعبَّد.

ولا خير في قلب يتوقع قرع الباب، يتوقع إنساناً يجيء يعطيه شيئاً[4].

(١) الرسالة القشيرية ص١٤٩.
(٢) حلية الأولياء ٩/ ٢٦٤.
(٣) يفت لك: أي يعدّ لك الطعام.
(٤) حلية الأولياء ٩/ ٢٦٤.

تلبية الشهوة

قال أبو سليمان:

أي شيء يزيد الفاسقون عليكم؟ إذا اشتهيتم شيئاً أكلتموه[١].

حب البقاء

قال أبو سليمان:

ما أحب المتقون البقاء في هذه الدار إلا ليطيعوه فيها[٢].

الخوف

قال أبو سليمان:

ما فارق الخوف قلباً إلا خرب[٣].

وقال:

ينبغي للقلب أن لا يغلب عليه إلا الخوف، فإنه إذا غلب الرجاء على القلب فسد القلب.

---

(١) حلية الأولياء ٩/ ٢٦٥.

(٢) تنبيه المغترين ص٣٠.

(٣) الرسالة القشيرية ص١٢٧.

ثم قال: يا أحمد، بالخوف ارتفعوا، فإن ضيعوه نزلوا[١].

الآخرة لا تزاحم الدنيا

قال أبو سليمان:

إذا جاءت الدنيا إلى القلب ترحلت الآخرة منه، وإذا كانت الدنيا في القلب لم تجئ الآخرة تزحمها، لأن الدنيا لئيمة، والآخرة عزيزة[٢].

أثر النشأة

قال أبو سليمان ـ وذكر له رجل ـ فقال:

لقد وقع على قلبي، ولكن صف لي حاله.

قال: إنه نشأ في الصوف[٣] والقرآن[٤] وأكل الملة[٥].

فقال أبو سليمان: قد كنت أحب أن يكون ممن

---

(١) الرسالة القشيرية ص١٢٨.

(٢) حلية الأولياء ٩/ ٢٦٠.

(٣) أي في لباس الصوف، أي نشأ على خشونة الملبس.

(٤) أي تلاوة القرآن.

(٥) الملة: الخبز الذي يخبز على الرماد الحار.

وجد طعم الدنيا ثم تركها، لأنه إذا وجد طعمها ثم تركها لم يغتر بها. وإذا كان ممن لم يجد طعمها، لم آمن عليه إذا وجد طعمها أن يرجع إليها[1].

العيال

قال أبو سليمان:

العيال يضعفون يقين الرجل، إنه إذا كان وحده فجاع قنع، وإذا كان له عيال طلب لهم، وإذا جاع الطالب فقد ضعف اليقين[2].

الحكمة

قال أبو سليمان:

أحلى ما تكون لي العبادة، إذا ألصقت بطني بظهري، فإن الحكمة كالعروس تطلب البيت الخالي، تنام فيه لتخلو فيه بصاحبها[3].

---

(١) صفة الصفوة ٤/١٩٢.

(٢) حلية الأولياء ٩/٢٦٠.

(٣) تنبيه المغترين ص٧٩.

الذهب والفضة

قال أبو سليمان:

قد وجدت لكل شيء حيلة، إلا هذا الذهب والفضة، فإني لم أجد لإخراجهما من القلب حيلة[1].

الفروض أولاً

قال أبو سليمان:

كل من كان في شيء من التطوع يلذُّ به، فجاء وقت فريضة، فلم يقطع وقتها لذة التطوع، فهو في تطوعه مخدوع[2].

تتابع الشهوات

قال أحمد بن أبي الحواري: خرجت مع أبي سليمان، فمررنا على زرع، وإذا طائران يلتقطان الحب، فلما شبعا أراد الذكر الأنثى. فقال:

يا أحمد، انظر فيما كان: لما شبع دعته بطنه إلى ما ترى[3].

---

(١) حلية الأولياء ٩/٢٦٨.

(٢) حلية الأولياء ٩/٢٦٩.

(٣) حلية الأولياء ٩/٢٦٨.

درس في تصحيح التوكل

رأى أبو سليمان رجلاً بمكة، لا يتناول شيئاً إلا شربة من ماء زمزم، فمضت عليه أيام.

فقال له أبو سليمان يوما: أرأيت لو غارت زمزم، ماذا كنت تشرب؟

فقام الرجل وقبل رأسه وقال: جزاك الله تعالى خيراً، حيث أرشدتني، فإني كنت أعبد زمزم(١) منذ أيام(٢).

التواضع ومعرفة النفس

قال أبو سليمان:

ما رضيت عن نفسي طرفة عين، ولو اجتمع الخلق جميعاً على أن يضعوني كاتضاعي عند نفسي، ما قدروا على ذلك.

وقال: لا يتواضع المرء حتى يعرفِ نفسه(٣).

---

(١) المقصود أنه كان جعل توكله على زمزم، والتوكل إنما يكون على الله تعالى.

(٢) الرسالة القشيرية ص١٦٨.

(٣) البداية والنهاية ١٠/٢٩٠، والإحياء ٤/١٤٣.

ذكر الموت

قال أبو سليمان:

ينبغي للعبد المعنيِّ بنفسه أن يميت العاجلة الزائلة، المتعقبة بالآفات، من قلبه بذكر الموت، وما وراء الموت من الأهوال والحساب، ووقوفه بين يدي الجبار(١).

الزاهد حقاً

قال أبو سليمان:

الزاهد حقاً لا يذم الدنيا، ولا يمدحها، ولا ينظر إليها، ولا يفرح بها إذا أقبلت، ولا يحزن عليها إذا أدبرت(٢).

الحجاب عن الله

قال أبو سليمان:

ما يَسُرُّ العاقلَ أن الدنيا له منذ خلقت إلى أن تفنى، يتنعم بها حلالاً، لا يُسأل عنه يوم القيامة، وأنه

---

(١) حلية الأولياء ٩/٢٦٦.

(٢) الزهد الكبير للبيهقي برقم ٤.

حجب عن الله عز وجل ساعة واحدة.

فكيف بمن حُجِبَ أيام الدنيا وأيام الآخرة؟![1].

كن كوكباً

قال أحمد بن أبي الحواري: قال لي أبو سليمان:

يا أحمد، كن كوكباً، فإن لم تكن كوكباً فكن قمراً، فإن لم تكن قمراً فكن شمساً.

فقلت: يا أبا سليمان: القمر أضوأ من الكوكب، والشمس أضوأ من القمر؟

قال: يا أحمد كن مثل الكوكب طلع أول الليل إلى الفجر، فقم أول الليل إلى آخره[2].

فإن لم تقو على قيام الليل، فكن مثل الشمس تطلع أول النهار إلى آخره. فإن لم تقدر على قيام الليل فلا تعص الله بالنهار[3].

---

(١) صفة الصفوة ٤/١٩٢.

(٢) يلاحظ وجود نقص في هذا النص، حيث لم يرد ذكر التمثيل بالقمر، وقد ورد ذكره في أول النص.

(٣) حلية الأولياء ٩/٢٦١.

الثياب

قال أبو سليمان:

الثياب ثلاثة: ثوب لله، وثوب لنفسك، وثوب للناس، وهو شر الثلاثة.

فما كان لله، فهو أن تجد بثلاثين وتشتري بعشرين، وتقدم عشرة.

وما كان لنفسك، فهو أن تريد لينه على جسدك.

وما كان للناس، فهو أن تريد حسنه.

وقد تجمع في الثوب الواحد لله ولنفسك[1].

اتهام النفس

قال أحمد بن أبي الحواري: قلت لأبي سليمان: إن فلاناً وفلاناً لا يقعان على قلبي.

قال: ولا على قلبي، ولكن لعلنا أُتينا من قلبي وقلبك، فليس فينا خير، وليس نحب الصالحين[2].

---

(١) حلية الأولياء ٩/٢٧٤.

(٢) صفة الصفوة ٤/١٩٦.

يجهل الصراط

قال أبو سليمان:

إذا قال الرجل لأخيه: بيني وبينك الصراط فإنه ليس يعرف الصراط، لو عرف الصراط، لأحب أن لا يتعلق بأحد، ولا يتعلق به أحد[1].

صدأ

قال أبو سليمان:

لكل شيء صدأ، وصدأ نور القلب، شبع البطن[2].

الحج

قال أبو سليمان:

ليس اتخاذ الحج من بضاعة أهل الورع، لا يقضى منه دين، ولا يشترى منه مصحف، وما فضل يرد على الورثة[3].

---

(١) حلية الأولياء ٩/ ٢٦١.

(٢) الرسالة القشيرية ص٤١١.

(٣) حلية الأولياء ٩/ ٢٦٤. ومعنى ما فضل يرد على الورثة: أن الحاجَّ إذا مات أثناء أداء المناسك، فإن المال المتبقي معه يعطى لورثته، فلا يستفيد منه المحتاجون شيئاً.

غاية أهل المعرفة

قال أبو سليمان:

أي شيء أراد أهل المعرفة؟ والله ما أرادوا إلا ما سأل موسى عليه السلام[1].

وقال:

لو لم يكن لأهل المعرفة إلا هذه الآية الواحدة لاكتفوا بها: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾[2][3].

ضحك العارف

قال أبو سليمان:

ضحك العارف التبسم[4].

---

(١) ما أراده موسى ما جاء في قوله تعالى: **﴿قال رب أرني أنظر إليك﴾** [الأعراف: ١٤٣] ومطلوب أهل المعرفة ذلك في الآخرة.

(٢) سورة القيامة الآيتان (٢٢ ـ ٢٣).

(٣) حلية الأولياء ٩/ ٢٦٤.

(٤) حلية الأولياء ٩/ ٢٦٧ وهو ما ورد في السنة قالت عائشة رضي الله عنها: ما رأيت النبي ﷺ مستجمعاً قط ضاحكاً، إنما كان يتبسم. (خ٦٠٩٢، م٨٩٩).

زهد العباءة

قال أبو سليمان:

يلبس أحدهم عباءة قيمتها ثلاثة دراهم، وشهوته في قلبه خمسة دراهم، أفما يستحي أن تجاوز شهوته لباسه؟!

قال أبو سليمان:

وإذا لم يبق في قلبه من الشهوات شيء جاز له أن يتدرع عباءة ويلزم الطريق، لأن العباءة عَلَمٌ من أعلام الزهد، ولو أنه ستر زهده بثوبين أبيضين بخلطة الناس كان أسلم له[1].

تناسق الظاهر مع الباطن

قال أبو سليمان:

لا ينبغي لفقير أن يزيد في نظافة ثيابه على نظافة قلبه، بل يشاكل ظاهره باطنه.

وقال:

ليت قلبي في القلوب مثل ثوبي في الثياب[2].

---

(١) حلية الأولياء ٩/ ٢٦٠.

(٢) الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٦٨.

الحكمة وترك الذنوب

قال أبو سليمان:

إذا اعتقدت النفوس ترك الآثام، جالت في الملكوت، وعادت بطرائف الحكمة، من غير أن يؤدي إليها عالم علماً[1].

دعاء في وفاء الحقوق

قال أبو سليمان:

رأيت شاباً مصفر اللون، وهو متعلق بأستار الكعبة وهو يقول:

اللهم إن لك عليَّ حقوقاً فتصدق بها عليَّ، وإن لعبادك عليّ حقوقاً فتحملها عني من فضلك، وقد تم فضلك عليّ[2].

النية الأولى

قال أبو سليمان:

من عمل شيئاً من أنواع الخير بلا نية، أجزأته

---

(١) صفة الصفوة ٤/ ١٩٦.

(٢) تنبيه المغترين ص١٨٦.